



من تراث الإمام البنا: سيناء.. والسودان



الاثنين 17 فبراير 2020 م

أكتب هذا مناسبة ما ورد في بيان صدقى باشا على لسان أحد الساسة المصريين عن سيناء المباركة بلفظ بريه سيناء، ووصفتها بعد ذلك بأنها أرض قاحلة ليس فيها ماء ولا نبات إلا أربعة بلد جعلت للتمويل وقت اللزوم.

وقد أثار هذا المعنى في نفسى سلسلة من المحاولات التى قام بها المستعمرون منذ احتلوا هذه الأرض؛ ليركزوا هذا المعنى الخاطئ فى أدمة السياسيين المصريين، وفي أبناء سيناء أنفسهم، فأخذوا يقللون من قيمتها وأهميتها، ويضعون لها نظاماً خاصاً في التعليم والتقويم والحكم والإدارة، ويدركوها إلى العام الماضى فقط محافظ إنجليزي يعتبر نفسه مطلق التصرف في كل مقدراتها، ويجعلون الجمرك في القنطرة لا في رفح [يذاباً لأن ما وراء ذلك ليس من مصر حتى صار من العبارات المألوفة عند أهل سيناء وعند مجاورיהם من المصريين أن يقال هذا من الجزيرة، وهذا من وادى النيل لأنهما إقليمان منفصلان.]

مررت بنفسي هذه الخواطير جميعاً فأجبت أن أبى الساسة الكبار والساسة الصغار وأبناء هذا الشعب إلى الخطر الداهم العظيم الذي تخفيه هذه الأفكار الخاطئة، ولا أدرى كيف نفع في هذا الخطأ الفظيع مع أن القرآن الكريم نبهنا إليه ولفت أنظارنا إلى ما في هذه البقاع من خير وبركة وخصب ونماء؟ وأنها إنما أجذبت لانصرافنا عنها وإهمالنا إياها فذلك قوله تعالى: «وَسَجَّرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءِ تَبْتُ بِالدُّهْنِ وَصَبَغُ لِلَّاكِلَيْنِ» [المؤمنون: 20]

إن سيناء المصرية تبلغ ثلاثة عشر مليوناً من الأفدنة أي ضعف مساحة الأرض المنزرعة في مصر، وقد كشفت البحوث الفنية في هذه المساحات الواسعة أنواعاً من المعادن والكنوز فوق ما كان يتصور الناس، واكتشف فيها البترول حديثاً، وبذهب الخبراء في هذا الفن إلى أنه في الإمكان أن يستتبط من سينا من البترول أكثر مما يستتب من آبار العراق الغالية النفيسة، وأرض سيناء في غاية الخصوبة وهي عظيمة القابلية للزراعة، وفي الإمكان استنبط الماء منها بالطرق الدرتازية وإنشاء ببارات يانعة على نحو ببارات فلسطين تنبت أجود الفواكه وأطيب الثمرات، وقد تنبه اليهود إلى هذا المعنى ووضعوه في برنامجهم الإنسائي وهو يعملون على تحقيقه إذا سندت لهم الفرصة، ولن تسنج بإذن الله.

فمن واجب الحكومة إذن أن تعرف لسيناء قدرها وبركتها ولا تدعها فريسة في يد الشركات الأجنبية والصوص والسراق من اليهود، وأن تسرع بمشروع نقل الجمرك من القنطرة إلى رفح، وأن تقيم هناك منطقة صناعية على الحدود. فلعل هذا من أصلح المواطن للصناعة، ويرى بعض المفكرين العقلاء أن من الواجب إنشاء جامعة مصرية عربية بجوار العريش تضم من شاء من المصريين، ومن وفد من فلسطين وسوريا والعراق ولبنان وشرق الأردن وغيرها من سائر أوطان العرب والمسلمين، ويربون في هذه البقعة أفضل مكان للتربية البدنية والروحية والعلقية على السواء.

وحرام بعد اليوم أن تظن الحكومة أو يتخيّل أحد من الشعب أن سيناء بريه قاحلة لا نبات فيها ولا ماء فهي فلذة كبد هذا الوطن ومجاله الحيوي ومصدر الخير والبركة والثراء، ونرجو أن يكون ذلك كله بأيدينا لا بأيدي غيرنا.

ولقد امتد إهمالنا لهذا الوطن العزيز، وانصرافنا عن دراسة الحقائق عن طبيعته ووضعيته إلى الجزء الجنوبي منه (السودان) بعد الجزء الشرقي (سيناء)، فسمعينا دولة رئيس الحكومة في بيانه يعرض للسودان في موضوعين، ويرى به فيهما مروزاً خاطفاً، ولكن يضم تحته كثيراً من المعانى التي تحتاج إلى تفكير، فيقول في الموضوع الأول في صدد المحالفة والمعاهدة وإنها للحصول على جلاء عاجل: "ولتسوية مسألة السودان على قواعد الشرف والكرامة مع ضمان مصالح إخواننا السودانيين"، وهنا نرى أن صدقى باشا ما زال يسترسل مع النغمة الإنجليزية التي تفرق بين مصر والسودان، وتجعل منهما شعبيين مختلفين ووطنيين متباينين لكل منهما مصالحة الخاصة به، وذلك فهم عريق في الخطأ ومصر والسودان وطن واحد وشعب واحد ومصالح السودانيين هي مصالح المصريين تماماً، وإذا كان

السودانيون يرون أن تقوم في بلدهم حكومة سودانية داخلية تحت التاج المصري فليس ذلك منهم إلا مراءةً لبعض الأوضاع الخاصة في السودان، كما تبيّن الحكومة المصرية للقبائل العربية في مصر أن يكون لها مشايخ منها، لهم وضعيتهم الخاصة، وتقاليدهم الخاصة، ولا يقال: إن لهم بذلك مصالح تختلف عن مصالح الوطن العامة.

ويقول في الموضع الثاني: "ومصر الحريصة على كرامتها واستقلالها وحقوقها في النيل تعلم هي الأخرى مبلغ الفائدة لها من مصادقة دولة عظمى بريطانيا، وهذا كلام يحتاج إلى تفكير حـقاً، فماذا يقصد دولة الباشا بفرض مصر على حقوقها في النيل؟"

إن مصر لا تحرض على وحدة الوادي لمجرد حصولها على ما تحتاج إليه من هذا الماء، كما لا تحرض على الإسكندرية مثلاً: لأن ميناءها على البحر، وهذا التفكير المادي البحت بعيد عن الشعور المصري، وإن أراد الإنجليز دائمًا أن يصوّروا الأمر بهذه الصورة، وجاراهم في ذلك رئيس الحكومة، ووقع في هذا الفحـّ كثير من الساسة المصريين، ولكن مصر حريصة على السودان لأنه جزء من حدود هذا الوطن، ولأن أبناءه مواطنون حقيقيون بدمهم ولغتهم وعقيدتهم وشعورهم آلهم وأمّلهم وأنسابهم وألقابهم، وعلى الساسة المصريين أن يدركوا هذه الحقيقة ويؤمنوا بها مهما جهلوا أو تجاهلوا الساسة البريطانيون.

كم نتمنى أن نستقل ونتحرر في أفكارنا ومشاعرنا لنتحرر بحق في أوطاننا وتصرفاتنا «ولله عافيةُ الأمور» [الحج: 41].

نشر في جريدة "الإخوان المسلمون" اليومية بتاريخ 18 ذو القعدة 1365 هجرية

